تأثير الشّعر الجاهلي في نقد السَّرقات

الأستاذ المساعد الدكتور
علي ذياب محيي العبادي
ali.d@uokerbala.edu.iq
الباحث
علي حاكم حبيب الكريطي
ali.hakim@uokerbala.edu.iq
جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية

The influence of pre-Islamic poetry in criticism of thefts

Asst. Prof. Dr.
Ali Diab Muhyi Al-Abadi
Researcher
Ali Hakim Habeeb Al-Kurayti
University of Karbala - College of Education for Human Sciences

الملخص:

تُعدُّ هذه القَضيّةُ مِن القَضايا المُهمّة في تاريخِ النَّقد العَربيّ، وهي مَعروفَةٌ مُنذُ العصر الجاهلي، فقد تَحدَّثَ عنها الشُّعراءُ حينئذٍ وفَهِموا المُراد منها، وعَبَّروا عَن مضمونها قبلَ أن يستّقرّ مُصطلحُ السَّرقَة فيما بَعد، وقَدْ جاءَ ذلك الأمرُ في أشعارِهم، وقيلَ إنّ أوّلَ مَن ذَمَّ السَّرقات طَرفة بنُ العَبد. إنَّ التَّسليمَ بجاهليَّةِ السَّرقَةِ يُؤكّد لَنا سيرَ الشُّعراءِ في سَرقاتِهم والنُّقاد في حَديثِهم عَن سَرقات الشُّعراء على هَدي السَّرقَة الجاهليَّة؛ لأنّها الأُسُّ الذي بُنِي، فَسِيرَ وراءه.

عالجَ البحثُ المرحلةَ المتقدّمة من الأدب العربي في عصرِ ما قبل الإسلام متمثّلَةً بالمظاهر التي لازمت الشّعرَ العَربيَّ في العصورِ اللّاحقة فضلاً عن معالجَتِه للشّعر الجاهليّ بعامّتِه من ناحيَةِ وجودِ مظاهرِ التّأثيرِ بما يُحيط بقضيّة السّرقات.

وقد بدأ زَمانُ الدّراسَة منذُ عصرِ صدر الإسلام وما فيه من إشاراتٍ نقديَّة جاءتْ من النَّبي محمد ﷺ الإشاراتُ التي متّنتْ تأثيرَ الشّعر الجاهلي بفنيّته، التي أسّسَ لها شُعراءُ المرحلة الأولى، وكذلك آراء الخُلفاء الرّاشدين، فضلاً عن آراء العُلماء والنُّقّاد الذين أثروا التُّراثَ العربيَّ بالمُؤلّفات الأدبيّة والنّقديّة التي استندتِ الدراسةُ لها كثيراً إلى نهايَة العصر العبّاسي.

الكلمات المفتاحية: لنقد القديم، السرقات، تأثير الشعر، الشعر الجاهلي، الكريطي.

Abstract:-

This issue is considered one of the important issues in the history of Arab criticism, and it has been known since the pre-Islamic era. Tarfa Bin Al-Abed. The recognition of ignorance of theft confirms to us the story of the poets in their thefts, and the critics in their hadith about the thefts of the poets on the guise of the theft of ignorance, because it is the prisoner who was built behind him.

The research dealt with the advanced stage of Arabic literature in the pre-Islamic era, represented by the aspects that characterized Arab poetry in later eras, as well as its treatment of pre-Islamic poetry in general in terms of the presence of influences surrounding the issue of thefts.

The study period began since the era of early Islam and the critical references in it came from the Prophet Muhammad, may God's prayers and peace be upon him and his family, and the signs that dictated the influence of pre-Islamic poetry with its artistry, which was established by the first-stage influential poets, as well as the opinions of the Rightly Guided Caliphs, as well as the opinions of the Rightly Guided Caliphs, as well as the opinions of the Righteous Caliphs. The Arab literature with literary and critical works on which the study relied heavily on the end of the Abbasid era.

Keywords: Ancient criticism, thefts, the influence of poetry, pre-Islamic poetry, alkurayti.

المقدّمة:

تُعدّ السّرقات من القضايا المهمّة في النّقد الأدبي العربي، وهي معروفةٌ منذ العصر الجاهلي، فقد تَحدَّثَ عنها الشُّعراءُ حينئذ وفَهمُوا المُراد منها، وعَبّروا عَن مضمونها قبلَ أن يستّقِرّ مُصطلحُ السَّرقَةِ فيما بَعد، وبحثُنا هُنا يرى إنّ الشّعرَ الجاهلي، وخاصّة شِعر شُعراء المرحلةِ الأولى كامرئ القيس وعبيد بن الأبرص وعمرو ابن قميئة وغيرهم، قد كانَ الأساسُ في تثبيت البنيَةِ الفنّية للقصيدة العربيّة فضلاً عن معانيها، وكذلك نعلمُ إنَّ النَّقدَ وُلدَ مع الشّعر الجاهلي وهذه الولادَةُ حَملتْ معها تأثير الشّعر الجاهلي الذي بانَ على النُّقّاد والأدباءِ من خلال آرائهم النَّقدية المبثوثة في كُتُبهم. وعلى وفق ما سَبق قامَ البحثُ مبيّناً مظاهرِ تأثير الشعر الجاهلي في نقدِ السَّرقة كقضيّةٍ من أهم قضايا شعرنا العربي.

وقد سارَ البحثُ وفق المادّة العلميّة التي وجدتها في المصادر، وقد اتّبعنا الزّمن كميزان لتسلسلِ خطة البحث، فبدأتُ بترتيبِ المّادة وفق وفيات الأعلام من النّقّاد والأدباء، ثم تلتْ هذه الخطّة خاتمةٌ بيّنا فيها أهم ما توصّلنا إليه من نتائج.

تُعدُّ هذه القَضيّةُ من القَضايا المُهمّة في تاريخِ النَّقدِ العَربيّ، وهي مَعروفَةٌ مُنذُ العصر الجاهليّ، فقد تَحدَّثَ عنها الشُّعراءُ حينئذ وفَهمُوا المُراد منها، وعَبّروا عَن مضمونها قبلَ أن يستّقِرّ مُصطلحُ السَّرقَةِ فيما بعد، وقَدْ جاءَ ذلك الأمرُ في أشعارهم(١)، وقيلَ إنّ أوّلَ مَن ذَمَّ السَّرقاتَ طَرفة بنُ العَبد(٢). وقَد تَكلَّمَ النُّقادُ عَن هذه القضيَّةَ، و رَوَوا آراءَ غيرِهم مِن الشُّعراءِ والأدباء، بوصفِها امتداداً لما جاءَ به الجاهليّون، وأفرَدُوا لَها فُصولاً مِن كُتُبِهِم، فضلاً عَن تأليف كُتُبٍ خاصّة بها. وسنبيّنُ هُنا جانباً رُبّما لم يتنبّه لَهُ الدارسون مِن قَبل، وهُو مَظاهرُ تأثير الشّعرِ الجاهليّ في هذه القَضيَّةِ، إذ إنّ الحديثَ في أغلبِ الدّراساتِ كانَ حَديثاً تاريخيّاً، أو تأصيلاً للمُصطلَحِ.

إنَّ التَّسليمَ بجاهليَّةِ السَّرقَة يُؤكّد لَنا سيرَ الشُّعراءِ في سَرقاتِهم والنُّقادِ في حَديثِهم عَن سَرقاتِ الشُّعراءِ عَلى هَدي السَّرقَةِ الجاهليَّة لأنّها الأُسُّ الذي بُنِي، فَسيرَ ورائِه.

وعلى الرَّغمِ مِن إنّ قضيَّةَ السَّرقة لَمْ يُعتَنى بها في أيامِ الأصمعيّ (ت ٢١٦هـ) كما فَعلَ النُّقّادُ ذلك أيّامَ أبي نوّاس(٣)، إلّا إنّ الأصمَعيَّ عَملَ بمفهُومها، وأوجَدَ لنفسِه طريقاً إليها،

من خلالِ مُوازَنَتِه بين شاعرٍ وآخر ودقق في معانيهمَا، كذلك اهتدى إليها حين سألَ أستاذَهُ أبا عَمرو بنَ العلاء (ت ١٥٤هـ) : ((أخبرِني عَنْ هؤلاء الشُّعَراءِ سَرَقَ بَعضُهُم بَعضَاً. قَالَ: "مِثلُ مَاذا"؟ قُلتُ: مِثلُ قَولِ امرئ القَيس: [الطويل]

لَــــهُ أُذُنــــانِ تَعــــرِفُ العِتــــقَ مِنهُمــــا   كَسامِعَتـــــيْ مَذعُـــــورَةٍ أُم رَبــــــرَبِ

وقول طرفة: [الطويل]

لــــه أُذُنــــانِ تَعــــرِفُ العِتــــقَ مِنهُمــــا   كَسامِعَـــــةٍ مَذعُـــــورةٍ أُم فَرقَــــدِ))

... فقال: لا، تلكَ عقولُ رجالٍ توافقتْ))[٤].

لَم يأتِ الأصمَعيُّ هنا بشاهدٍ للسَّرقةِ من المُحدَثين، بل ذهبَ إلى الشّعرِ الجاهليّ واتّخذَ من امرئ القيسِ وطرفَةَ مثالاً. ومن جانبٍ آخرٍ فإنّ مثالَ الأصمَعيّ الجاهليّ دَلَّ أستاذَهُ أبا عمرو بن العلاء على المَفهومِ الذي أرادَهُ الأصمعيُّ فضلاً عَن الزّمانِ الذي يُريد الاستعلامَ عَنهُ وهُو العَصرُ الجاهليُّ. فالسَّرقَةُ حاضرةٌ في ذهنِ الأصمعيّ، وتعليل أبي عمرو من أنَّ خاطِرَي الشّاعرين تواردا في المعنى يمكن أن يكون بتأثير قداسة الشّاعرين في نفسهِ فأبعدَ عنهما السَّرقةَ لذلك.

وقد اتّهمَ الأصمعيُّ امرأ القيس بسرقَةِ أغلبِ أشعارِه من صعاليك كانوا معه، إذ يقولُ: ((ويقالُ إنَّ كثيراً مِن شعرِ امرىء القيس لِصَعاليك كانُوا مَعَهُ))[٥]، وهذا القول يفتح البابَ أمامَ تأويلاتٍ عديدة، لكننا نبحثُ عن تأثيرِ الشّعر الجاهلي، فمادام الشّاعرُ الجاهليُّ موضعَ شكٍّ واتهامٍ بالسّرقَةِ فإنَّ اتهامَ اللّاحقين بها أمرٌ طبيعيٌّ، واتهامُ الأصمعيّ لامرئ القيس يفتحُ البابَ واسعاً أمامَ الشُّعراء، لأنَّ امرأ القيس من الفحولِ بل هو رأسُ الشّعراء ـ كما تبيّن لنا ذلك سابقاً ـ وقد أُتُّهِمَ بالسَّرقَةِ فما بالُ الشّعراء الآخرين ؟. فهنُا يتَّضحُ تأثيرُ الشّعر الجاهلي في هذا الجانبِ على الشُّعراءِ اللّاحقين، والنُّقّاد على الشُّعراءِ.

إنّ الحَديث عَن السَّرقات لَهو حَديثٌ مُتشعِّبٌ لكثرةِ الرّوايات والأحاديث التي تعرَّضت لَها ـ السَّرقات ـ، ويُوقِفُنا هُنا قولَ ابنِ سلّام في حديثِه عن الانتحال والسَّرقات: ((قَالَ ابْن سَلام فَلَمَّا راجعت الْعَرَب روَايَة الشّعْر وَذكر أَيَّامهَا ومآثرها اسْتقل بعضُ العَشائرِ شعرَ شُعرائِهم ومَا ذهبَ مِن ذكرِ وقائعِهِم، وكَانَ قومٌ قلَّتْ وقائعُهم وأشعَارُهم

فَأرادُوا أَنْ يَلْحقُوا بِمنْ لَهُ الوَقائِعَ والأشعارَ فَقَالُوا على أَلْسنَة شُعرائِهم، ثمَّ كَانَتْ الرواة بعد فزادوا في الْأَشْعَار الَّتِي قيلت ولَيْس يَشكلُ على أهلِ الْعلمِ زيادَةَ الرّواة ولَا مَا وَضعُوا ولَا مَا وَضعَ المُولّدُون وإِنَّمَا عضَلَ بِهِم أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ من أهلِ الْبَادِيَة مِن ولد الشّعَرَاء أَو الرَّجُلُ لَيْسَ مِنْ وِلدهم فَيَشكل ذَلِك بعضَ الْإِشْكَال))[٦]. إنّ قضيّتي الانتحال والسَرقَة اللتين تطرَّقَ إليهما ابنُ سلّام (ت ٢٣١هـ) هُما وليدتا تأثير الشّعرِ الجاهليّ، إذ كان النّاسُ على علمٍ بأهميّة الشّعرِ ومكانَته في النُّفوس، لذا فكلُّ ما حصّل بَعدَ ذلك جاءَ بأثرٍ واضحٍ من الشّعرِ الجاهليّ. إذ إنّ القَبائلَ أرادتْ لنفسها من الشُّهرَة والمَكانَة العاليَة كما هُو الحالُ في الجاهليَّة، فعمَدوا إلى ذلك مُستندين إلى الشّعرِ الجاهليّ فتأثّروا به شَديدَ التأثُّرِ ونَحلوا الأشعارَ، وانتَحلُوها.

وتَكلّمَ الجَاحظُ عَن هذه القَضيَّة وأفردَ لَها باباً في كتابه (الحَيوان) باباً بعنوان (إغارةَ الشُّعراءِ عَلى المعاني)، إذْ ذَهبَ إلى إنّ الشُّعراء مَجبولون عَلى السّرقِ من الذين سَبقوهُم، فإنْ لَمْ يكُنْ في كُلِّ الأحوالِ ففي أغلَبها، ومَنْ يأتي بمَعنىً جَديدٍ فهُو يُؤسّسُ لبدايةِ السّرقِ بالنسبّة للّاحقينَ من بَعده، فيقولُ في ذلك: ((ولا يُعلَم في الأرضِ شاعرٌ تَقدّمَ في تَشبيه مُصيبٍ تامٍّ، وفي معنى غَريبٍ عجيبٍ، أو في مَعنى شَريفٍ كريمٍ، أو في بَديعٍ مُختَرَعٍ، إلّا وكُلّ مَن جاءَ من الشُّعراءِ من بَعدِه أو مَعَهُ، إنْ هُو لَم يَعْدُ على لَفظِه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنّه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه؛ كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم، وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه. أو لعلّه أن يجحد أنّه سمع بذلك المعنى قطّ، وقال إنّه خطر على بالي من غير سماع، كما خطر على بال الأوّل. هذا إذا قرّعوه به))[٧]، فالإقرارُ بالسَّرقَة واضحٌ جَليٌّ. ونفهَمُ مِن هذا النَّصِّ إنّهُ لا بُدَّ من وُجود منطَقَة زَمنيَّة يَنطلقُ منها حَديثُ الجَاحظُ، وكما تبيّنَ لَنا سابقاً إنّ السَّرقَةَ داءٌ بدأَ في الجاهليَّة، فالأجدَرُ بالفهمِ لحديث الجاحظ هذا إنّهُ قد أومئَ إلى الشّعرِ الجاهليّ كونَهُ الأصلَ الذي انطَلَقتْ منهُ هذه القَضيّةُ. وهُنا نُسلّمُ بتأثيرِ الشّعر الجاهليّ في النّقد القديم بقضيَّة السَّرقات كما يُفهَم ـ والأمرُ كذلك ـ من قول الجاحظ السّابق. وللجَاحظُ قولٌ آخرُ يُمتّنُ ما نقولُه، جاءَ فيه: ((نَظرنَا في الشّعرِ القَديمِ والمُحدَث فَوَجدنَا المَعَاني تُقلَبُ ويُؤخَذُ بَعضُهَا من بَعضٍ))[٨]، فقد وازنَ بينَ نظرَته للقَديمِ والمُحدَثِ بعينِ النّاقدِ المُحايدِ، وقد وَجدَ الشُّعراءَ القُدامى يأخذونَ معاني بعضِهم، ثم سارَ على

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

هَديهِم المُحدثون وأخذوا بمعاني بَعضِهِم ومعانِي القُدامى(٩)، وهذا الكلامُ لا يدعُ مجالاً للشَّكِّ في مسألةِ تأثيرِ القَديمِ باللّاحِقِ.

أمّا ابنُ قُتيبة (ت ٢٧٦هـ) فقد حاولَ أنْ يَبتَعدَ عَن وصف قضيّة الأَخذ من الآخرينَ في الشِّعرِ سَرقةً(١٠) إلا في موضعٍ واحدٍ في حَديثِه عَن الكُميت(١١)، وقَد وَقَفَ في هذه القَضيَّة موقفاً مُحافظاً، إذ أباحَ للشَّاعرِ المُحدَثِ أن يتصرَّفَ بمعاني القَديمِ شريطَةَ أن يُجيدَ في ذلك، فقدَ أباحَ لأبي نواس أخذ قوله(١٢):

دَعْ عَنكَ لَومِي فإنَّ اللَّومَ إغراءُ ... وداوِنِي بالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدّاءُ

مِن قَولِ الأعشى(١٣):

وكَأسٌ شَربتُ عَلى لَذَّةٍ ... وأُخرى تَداويتُ مِنهَا بِها

بقوله: ((فَسَلخَهُ وزَادَ فيه مَعنى آخر، اجتَمعَ لَهُ بِهِ الحُسنُ في صَدرِه وعَجُزِه، فَللأعشَى فَضلُ السّبَقِ إليه، ولأَبي نَوّاس فَضلُ الزِّيادَةِ فيه))(١٤)، وهذا القولُ يحيلُنا إلى مَدى تلاحُمِ الشِّعرِ القَديمِ مع الأشعارِ اللّاحِقَةِ الأمرُ الذي دعا ابنَ قُتيبة إلى إباحَةِ أخذ مَعانِي القُدامى كالأعشى، وكتابَةُ الفَضلِ للّاحقِ للزيادَةِ فيها. ويمكنُ القول إنَّ تأثيرَ القَديمِ الجاهليّ لمْ يكُن مجرّدَ تأثيرٍ بسيطٍ في قضيّة السّرقَةِ بل إنّ أشعارَ القُدامى مُنسَجِمَةً مع الأشعارِ اللّاحِقَةِ على وُفقِ ما يُفهم من قولِ ابنِ قُتيبة.

وجاءَ ابنُ طَباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ) فأراد أن يلتَمِسَ العُذرَ للمُحدَثين كُونَهُم ((سُبِقُوا إلى كُلِّ معنى بديع، ولفظٍ فصيحٍ، وحِيلَةٍ لَطيفَةٍ، وخلابَةٍ ساحرَةٍ))(١٥)، ونَجِدُهُ يُقرُّ بالفَضّلِ للقُدماء، ويتحدَّثُ عَن تأثيرِهم في اللّاحقِين إذ سنعثَرُ في ((أشعارِ المُوَلَّدين بعجائبَ استفادُوهَا ممَّن تقدَّمهم، ولَطُفُوا في تَناوُلِ أصُولها مِنْهُم، ولَبَّسُوها على من بَعْدهم، وتكَثَّروا بإبداعها فَسَلَّمتْ لَهُم عندَ إدِّعائها للَطيفِ سِحرِهم فيهَا، وزَخرفَتِهم لمَعَانيها))(١٦)، فالاستفادَةُ ممّن تَقدَّمَهُم هو الأثرُ القَديمُ الذي أصبحَ مُرتكزاً رئيساً لَهم، فمعَ تلطيفِهم وزخرفَتِهم كانَ أثَرُ القَديمِ واضحاً للمُتلقّي. وابنُ طَباطبا في موقفه هذا أراد أنْ يكونَ مُحايداً كما ابن قُتيبة، بَل ناصرَ المُحدَثَ في تَجديدِهِ القديمَ، لكنَّ ذلكَ لا يُمحو أثرَ القديمِ.

ومن اطلاعنا على الآراء النّقديّة لابن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ) تبيّنَ لنا إنَّهُ من أكثرِ

النُّقاد دعوةً للعودةِ إلى القديمِ، إذ يرى إنَّ الرّجوعَ الى التراث الشّعري للشُّعراءِ العربِ القُامى من شأنه أن يصقلَ الموهبةَ، ويشحذُ الذَّوق(١٧)، وقد التمسَ بهذا العُذرَ للشُّعراءِ المُحدثين في تشابهِ معانيهم مع القُدامى لتأثّرهم بمصدرٍ واحدٍ هو الشّعرُ الجاهلي.

وقد ذهبَ أبو بكر الصّولي (ت ٣٣٥هـ) إلى إنّ للشّاعرِ المُحدَثُ حقّاً في أخذِ معاني القُدماء، بل فضّلَ المُحدثَ وجعلَه أحقُّ بالمعنى من صاحبِه إذا ما أضافَ عليهِ ووشّحَهُ ببديعه(١٨)، فيقولُ في فضلِ أبي تمّام في قولِه(١٩):

فَلَو كَانَ يَفنى الشِّعرُ أفنَتْهُ مَا قَرَتْ ... حِياضُكَ مِنهُ فِي العُصُورِ الذّواهِبِ

بأخذِه وزيادَتِه فيه لقولِ أوس بن حجر(٢٠):

أقولُ بِما صَبَّتْ عَلَيَّ غَمامَتي ... وجُهدِي فِي حَبْلِ العَشيرَةِ أحطِبُ

إذْ ليسَ من المَعقولِ أن نقولَ بجديدِ أبي تمام دون وجود تأثيرٍ للشّعرِ القديمِ في شعره. فالأمرُ سرقةٌ أراد لَها الصّولي أن تكونَ جَديداً أجادَ به أبو تمّام.

والسَّرقَةُ عندَ الآمديّ (ت ٣٧٠هـ) في البديعِ المُختَرَعِ لا في المَعاني المُشتَركَة بين النّاس الجاريَة في عاداتِهم ومستعملَة في أمثالِهم(٢١). ولهُ في مُوازنَته بين الطّائيّين مواقفَ وآراء عدّة في قضيّةِ السَّرقات، وقد تَحدَّثَ عَن أثرِ البيئَة الواحدَة في تجهيزِ الشُّعراءَ بمعانٍ متقاربَة ((غير مُنكرٍ لشاعرَينِ مُتناسبَين من أهلِ بَلَدينِ مُتقاربَين أنْ يتّفقَا في كثيرٍ من المَعَاني، لا سيما ما تَقَدّمَ النّاسُ فيه، وتَردّدَ في الأشعارِ ذكرُهُ، وجرَى في الطِّباعِ والاعتياد من الشّاعرِ وغيرِ الشّاعرِ استعمالُهُ))(٢٢). ونفهَمُ من قولِه هذا إنَّهُ يُحاولُ التَّخفيفَ من وَطأة عيب السَّرقَة على الشُّعراءِ من خلال بيانه أثرَ البيئَةِ في معانِي الشُّعراءِ إذْ تُحتّمُ عليهِم نمطاً مُعيناً من المعاني لأنّهم يشتركونَ بأشياءٍ كثيرةٍ.

وقيلَ إنَّ منهَجَ الآمديّ جاءَ للدِّفاعِ عَن المَعاني التي أخذَها البُحتريُّ من الشُّعراءِ أو من أبي تمّام حتّى لا يَجعلَها من قَبيلِ السَّرقَةِ إستناداً إلى هذا المَبدأ(٢٣) بل يُقرّر إنّها قد تسرَّبتْ إلى البحتري لقرب بلدِه من بَلَدِ أبي تمّام.

وكذلك نفهَمُ من قوله إنّهُ يحاولُ أن يَبنيَ لجيلٍ قادمٍ أُسساً يسيرُون عَلى هَديها، فمعاني القُدماءُ ليست حكراً عليهِم، بَل تَتَناسَبُ وحاجة كُلِّ شَاعرٍ للتَّعبيرِ عنها بطَريقَته، وهكذا

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

يَمتَدُّ الأثرُ القَديمُ مَعَ كُلِّ زَمَنٍ يَميلُ شعراؤهُ إلى معاني القُدماء.

ويُضيفُ الآمديُّ شيئاً آخرَ إلى قَضيَّةِ السَّرقات، إذْ رَدَّ كثيراً من السَّرقاتِ إلى مَحفوظِ الشَّاعرِ، وكثرة الأشعارِ التي سَمعها ورواها، فَبقيَ الكثيرُ من معانيها عالقاً بذهنه، فيلجأُ إليها في أحايينَ كثيرةٍ قاصداً أم غير قاصد[٢٤]، وبالطَّبعِ فإنّ للأشعارِ الجاهليَّةِ حُضورها في ذهنِ الشَّاعرِ المُحدّث إذا ما وسّعنا دائرَةَ الشّعراءِ إلى أبعدِ من الطّائيَّين.

والسَّرَقَةُ داءٌ قديمٌ وعيبٌ عَتيقٌ كما يراها القاضي الجُرجاني (ت٣٩٢هـ) في وساطَته إذ يقولُ: ((السَّرَق – أيَّدكَ اللهُ – داءٌ قديمٌ، وعيبٌ عتيقٌ، وما زالَ الشَّاعرُ يَستَعينُ بخاطرِ الآخَرِ، ويَستَمِدُّ من قَريحته، ويَعتَمدُ عَلى مَعنَاه ولَفظه))[٢٥]. ويَقصدُ بهذا الكلام إنّ جميعَ الشُّعراءِ يستعينونَ بالسّابقين[٢٦] فَهُو أمرٌ مُعتادٌ بينَ الشُّعراء، والأصلُ في ذلك هو الشّعرِ الجاهلي، ويدلُّ الكلامُ دلالةً واضحَةً عَلى تأثير الشّعرِ الجاهلي واستمراريَةِ وُجوده في الأشعارِ العَربيّةِ في كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ، والجميلُ هُنا إنّهُ لَم يَقصدْ الحَديثَ عن هذا التأثير بل أرادَ بيانَ استعانَةِ الشَّاعرِ لشعرِ السَّابقينَ كونَ ذاكَ الأمر من المُسلَّمات، لكنّ تأثير الجاهليّ لا يخفى معناهُ في هذا النَّصِّ لأنّهُ الأصلُ الذي يَرجعُ إليه كُلُّ شاعرٍ في كُلِّ حين. وأمْرُ الأخذِ عندَهُ أقربُ إلى التَّواتُرِ منهُ إلى السَّرقة[٢٧] والتَّواتر بَدأ من الجاهليَّة، واستمرَّ إلى عصرِ الجرجاني وما بَعدَ عَصره، ممّا يعني إنّ البدايةَ الجاهليَّةَ استمرّتْ بتواترٍ جيلاً بعدَ آخرٍ. ويَرى الجُرجاني أيضاً ـ إنَّ للبيئَةِ أثراً في تَشابُهِ مَعاني الشُّعراءِ واقترابها[٢٨].

أمّا المرزباني (ت ٣٨٤هـ) فقد عَرضَ لقضيّة السرقات في الموشّحِ أمثلَةً عَديدةً وقد أكثَرَ من أخبارها[٢٩]، وهُو لا يَميلُ إلى التَّعصُّبِ عند أخذ الشّاعرِ المعاني من السَّابقين، وقَد سارَ في ذلك على خُطى ابن طباطبا وابن قُتيبة[٣٠].

وكانتْ هناكَ وَقفَةٌ لأبي هلالٍ العَسكريّ(٣٩٥هـ) مَعَ قَضيّةِ السَّرقات، إذ عَنى بها عنايَةً كَبيرةً، فَتحدَّثَ عنها في فَصلينِ من كتابه (كتاب الصّناعتين) في حُسن المَأخذ وقُبحه، فَهُو يُقرُّ أنّ معاني القُدماءَ لا غنى عنها، فَضلاً عَن قَوله بتوارد الأفكارِ فقَدْ يَقع للمتأخّرِ ما وَقعَ للمُحدَث[٣١]، فَضلاً عَن ذلك قالَ بتأثيرِ البيئَة في تشابهِ المَعاني كَما قالَ ابنُ قتيبة بذلك من قبلِ: ((وإذا كانَ القومُ في قَبيلَةٍ واحدَة، وفي أرضٍ واحدَةٍ فإنَّ خَواطرهم تَقع مُتقاربَة، كَما أنَّ أخلاقهم وشمائلهم تَكونُ متضارعَة))[٣٢]، فهذا الحَديثُ عَن تَعليلِ السَّرقَة فيه من

الصَّراحَةَ بتأثيرِ الشّعرِ الجاهليّ الكثير، لأنَّ البيئَةَ الجاهليَّةَ هي أصلُ الشّعرِ وامتدادها حتّى الأشعارِ اللّاحقَة(٣٣). والحَقُّ انَّ أبا هلال العَسكَري لَم يُضِفْ جَديداً لهذه القَضيّةِ بل كانَ مُعتمداً في آرائه على النُّقّاد السابقين كالجاحظِ وابنِ قُتيبة وابنِ طَباطَبا(٣٤) وهذا الاعتمادُ بحدِّ ذاته هو صورةٌ من صُورِ تأثيرِ القَديمِ باللّاحِقِ.

ونَصلُ لأبي عليٍّ الحَسَنِ بنِ رَشيقِ القيرواني (ت٤٦٣هـ) فنجدُ لَهُ في قضيَّةِ السَّرقاتِ وَقفَةً استوعَبَ فيها جميعَ الآراء التي سَبقَته(٣٥). ونحنُ هُنا نبحثُ عن مظاهرِ تأثيرِ الشّعرِ الجاهلي في آرائه حول هذه القضيَّة، لكنَّهُ تمسَّك بآراءِ الذين سَبقوهُ في كتابه (العُمدة)(٣٦)، وقد تَحدَّثَ عَن سَرقَاتِ الجاهليّين أنفسهم واعتمادهم على أشعار الآخرين، فقد أشار إلى سرقَة امرئ القيس من أبي دؤاد الإيادي بقوله: ((كانَ امرؤ القَيس يَتوكّأُ عليه ويَروي شعرَهُ))(٣٧)، وهذا القولُ يدلّنا على اعتماد شُعراء المَرحَلَة المُتقدّمة في العَصرِ الجَاهليّ على أشعَارِ بَعضِهم. والدَّلالةُ الأخرى هي إنّهُ يَصُحُّ القولَ إنّ تأثيرَ الشّعرِ الجاهليّ بدأ مَع الجاهليّين أنفُسِهم بدلالَةِ اتكاء امرئ القيس عَلى أبي دُؤاد الإيادي.

ويذهَبُ ابنُ رشيق القيرواني أيضاً إلى قضيّةٍ نَفسيَّة، إذْ يقولُ بأنَّ من أسبابِ السَّرقَة هي أنْ يكونَ الشَّاعرُ اللّاحقُ راويَةً لأشعارِ السَّابقِين، ممّا يُرسِّخُ في ذهنه الكَثيرَ من أشعارِ أولئك. يقولُ في ذلك: ((يمرُّ الشّعرُ بمَسمَعي الشّاعرِ لغَيره، فيدُورُ في رأسه، أو يأتي عليه الزّمانُ الطَّويلُ فينسى أنَّهُ سَمعَهُ قَديماً... و رُبَّما كانَ ذلك اتّفاقُ قرائح، وتَحكيكاً من غَيرِ أنْ يَكونَ أحدَهُما أخذَ عَن الآخرِ))(٣٨). ويُمكنُ تأويلُ هذا الكلام بالقولِ إنَّ الروايةَ بَدأتْ مُنذُ العَصرِ الجاهليّ، وامتَدّتْ إلى عَصرِ ابنِ رشيقٍ وما بَعدَهُ، وهذا الأمرُ بحدِّ ذاته يُعدُّ طريقاً مُستمراً امتدَّ من الجاهليّة فالعُصُور الأدبيَّة اللّاحقَة، وإنْ كانَ ليسَ على وتيرَةٍ واحدَة. فضلاً عَن ذلك نَفهَمُ من قَولِه السّابقِ إنّ الشّاعر بروايتِه لأشعارِ السّابقين فإنّ كثيراً من تلك الأشعارِ تبقى عالقَةً في ذهنِه، وتأتيه وقتَ النَّظمِ.

وثَمَّةَ قضيّةٌ مُهمّةٌ أثارها ابنُ رشيقٍ كما أثارها الجرجاني من قبل، وهي قضيَّةُ توارد الخَواطر، فقال في ذلك: ((والذي أعتَقدَهُ وأقولُ به أنَّهُ لَمْ يَخفَ عَلى حاذقٍ بالصَّنعَة، أنَّ الصَّانعَ إذا صَنَعَ شعراً ما وقافيةً ما، وكانَ لمَنْ قَبلَهُ من الشُّعراء شَعرٌ في ذلكَ الوزنِ وذلك الرَّوي وأرادَ المُتأخّرُ معنى بعينِه فأخذَ في نَظمِه ـ أنَّ الوزنَ يَحصُرُهُ والقافيَةُ تضطَرُّهُ، وسياقُ

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

الألفاظ يَحدُوه حتّى يورد نَفس كَلام الأوّل ومَعناهُ، حتّى كأنّهُ سَمِعَهُ وقَصَدَ سَرِقَتَهُ، وإنْ لَم يَكُنْ سَمِعَهُ قَطُّ))[٣٩]. ويُفهَمُ مِن افتراضِ ابنِ رشيقٍ هذا الذي افترضَهُ مثالاً لتوارُدِ الأفكارِ أنَّ هذا الأمرَ يَكشِفُ عَن أثرِ تقاليدِ الشِّعرِ العربيّ، سيما الجانب الموسيقيّ، إذ ذَهبَ ابنُ رشيق إلى المعنى الذي يتأثّرُ بالوزنِ والقافيّة. وهذا الأمرَ يُقيّدُ الابداعَ الشّعريَّ ويجعلَهُ قريباً مِن بَعضِه[٤٠]، وهذا التّقارُبُ هُو مَظهرٌ مِن مظاهرِ تأثيرِ الشِّعرِ الجاهليّ الذي قرّبَ ابداعَ الشُّعراءِ وضَمّهُ إلى نَسَقِه.

ولا يمكنُ لنا أن نَغفلَ أثرَ عبد القاهرِ الجُرجَاني (ت ٤٧١هـ) الأديبُ النَّاقدُ الذي لَقِيَ النَّقدُ على يديه جَديداً أثبتَ دَعائمَ النَّظريَّةِ النَّقديَّةِ العَربيَّة، وقد عَرَضَ لقضيَّةِ السَّرقَة، إذ تناوَلَ ما تناوَلَهُ النُّقّادُ السابقونَ لَهُ، لكنّهُ أفادَ منها في دَعمِ نَظريَّتَهُ في النَّظمِ[٤١]، وعبدُ القاهرِ الجرجاني يكاد يُقرّر أنّهُ ثمّةَ خصوصيّة نحويّة لكلِّ شاعرٍ، تميّز شعرَهُ مِن غيرِه مِن الأشعارِ حتّى لو تَشابَهَتْ المعاني وتَقارَبَتْ[٤٢]، وما يُهمُّنا هُنا آراؤُهُ في مَظاهرِ تأثيرِ الشّعرِ الجاهليّ، فمثلاً حينَ يتحدَّثُ عَن أشتراكِ النَّاسِ في دلالاتٍ مُعيّنَةٍ استَقَرَّتْ في عُقُولِهِم[٤٣] إذ يقولُ في ذلك ((وأمَّا الاتفاق في وجه الدِّلالة على الغرض، فيجب أنْ يُنظَر، فإن كان مما اشترك الناس في معرفته، وكان مستقراً في العقول والعادات، فإنَّ حُكْمَ ذلك، وإن كان خصوصاً في المعنى، حُكْمُ العموم الذي تقدَّم ذكره. من ذلك التشبيه بالأسد في الشجاعة، وبالبحر في السخاء، وبالبدر في النور والبهاء))[٤٤] وحُكم العام الذي أتى ذكره في هذا النّصّ هو ((لا يكونُ الاشتراكُ فيه داخلاً في الأخذ والسَّرقَة والاستمدادِ والاستعانة))[٤٥]، وممّا تقدّم يُمكن القول إنَّ هذا الرّأيَ وإنْ كانَ يَدلُّ اشتراكَ النَّاس في مَعاني وصُور معيّنَةٍ، وكُلٌّ مِنهم يرسمُ تلكَ الصُوَرَ بتراكيبِه النَّحويَّة فإنَّه يَدلُّ أيضاً على تأثيرِ الشّعرِ الجاهليّ في الأشعارِ اللّاحقَة، وإنَّ قُوَّةَ هذا التأثيرِ جَعلَتْ هذه الدّلالاتِ مُستَقرَّةً في عُقُولِهم، إذْ جاءتْ عَن الجاهليّينَ في أشعارِهِم وتوارثَها اللّاحقون لِما رأوهُ مِن حَتميَّةِ الأخذِ بها.

وفي حَديثِ عبدِ القاهرِ الجُرجاني (ت ٤٧١هـ) أيضاً عَن الأسلوب والاحتذاء، بيّنَ لَنا كيفَ يتأثَّرُ المُحدَثُ بالقديمِ مِن الشُّعراء، قائلاً: ((واعلمْ أنّ "الاحتذاءَ" عندَ الشُّعراء وأهلِ العلمِ بالشِّعرِ وتَقديرِه وتَمييزِه، أنْ يَبتدئَ الشّاعرُ في مَعنى لهُ وغَرَض أسلوبًا و "الأسلوب" الضَّربُ مِنَ النَّظمِ والطَّريقَةُ فيه فَيَعمَدَ شاعرٌ آخرُ إلى ذلكَ "الأُسلُوبِ" فيجيءَ بهِ في

شعره))(٤٦). لقد أسّسَ عبدُ القاهر في فَهمِه للأُسلوب وتعريفه إياهُ إلى أمرٍ مُتعلّقٍ بالسَّرقات، فالشَّاعرُ المُبتدئُ يُرادُ لَهُ احتذاء شاعرٍ آخرٍ ليتسنّى لَهُ النَّظمَ وُفقَ مبادئِ النَّظمِ العَربيَّة التي تَعُودُ أساساً إلى الشِّعرِ الجاهليّ، أي إنّ أسلوبَ الجاهليّينَ في الشِّعرِ مُستَمِرٌ جيلاً بعدَ آخَر، لأنّ الشّاعرَ الجَديدَ يكونُ بحاجَةٍ لنَّصٍ شعريٍّ يَنظِمُ عَلى غراره، وهذا النَّصُ أسَّسَ لَهُ الشِّعرُ الجاهليُّ، فَبَقِيَ أثَرُ الأسلُوبِ الجاهليِّ مُستمراًّ عَبَر العُصُور، وإنْ كانَ لكُلِّ شَاعرٍ أسلُوبَهُ الذي يَنظِمُ فيه ويُميّزُهُ منْ بَقيَّة الشّعراءِ في طَريقَة استعمَاله التراكيبِ النَّحويَّة لأغلَبِ الدّلالاتِ التي وَرِثُوها عَنِ الجَاهليّين. وضربَ عبدُ القاهر لذلك مثلاً قول الفرزدق(٤٧): [الطويل]

أَتَرجُو رُبَيْعٌ أن يَجيءَ صِغَارُهَا بِخَيرٍ، وقَدْ أعيَا رَبِيعَاً كِبارُهَا

فاحتذاهُ البَعِيثُ المجاشعي بقوله(٤٨): [الطويل]

أَتَرجُو كُليبٌ أن يَجيءَ حَدِيثُهَا بِخَيرٍ، وقَدْ أعيَا كُلَيبَاً قَدِيمُهَا

إنَّ فَهم الجرجاني للأسلوبِ يأتي بمنزلة واحدةٍ من جميع الشُّعراء، لأنَّهُ يُمثّلُ شخصاً بذاته، وقد خَرَّبَ الاحتذاءُ مزيَّةَ أسلوبِ الشّاعر المُحتذي الذي وضعَ نفسَهُ موضعاً ليسَ لَهُ فيه يَدٌ، فالمُتلقّي لبيتِ البَعيث لا يستحسنُ قولهُ السّابقَ كما يستحسنُ بيتَ الفرزدق، إذ عمدَ البَعيثُ الى تكرارِ ما جاءَ به الفرزدقُ من قَبلُ.

وقد ذَهبَ ابنُ الأثير (ت ٦٣٧هـ) في مُعظَمِ آرائه عَن السَّرقاتِ مذاهبَ النُّقّاد القُدامى لكنّ تَقسيماتهُ في ذلك اختلَفتْ ولَهُ آراءٌ أُخَرٌ توصَّلَ إليها بنفسه(٤٩)، ويهمُّنا هُنا مظاهرُ تأثيرِ الشّعرِ الجاهلي في الأشعارِ اللّاحقَة التي يُمكنُ أن نتوصَّلَ إليها من خلالِ آرائه، فيقولُ ابنُ الأثيرِ أنّهُ لا يُمكنُ للآخَرِ أن يستَغنيَ عَن السَّابق فَيُنَبِّهُ الشُّعراءَ لهذه القَضيَّة بقوله: ((لا يَستَغني الآخرُ عَن الاستعَارَةِ من الأوَّل، لكنْ لا يَنبَغي لَكَ أنْ تَعْجَلَ في سَبكِ اللَّفظ على المَعنى المَسرُوق فَتُنادي على نَفسكَ بالسَّرقَة، فكثيراً ما رأينا مَنْ عجَّل في ذلكَ فعثَرَ، وتَعاطَى فيه البَديهَةَ فعقَرَ، والأصلُ المُعتَمَدُ عليه في هذا البابِ التَّوريَة والاختفاء))(٥٠). إنّ هذا الكلامَ واضِحٌ من ناحيَةِ تأثيرُ القديمِ على المُحدَث، وهوُ كلامٌ تَقريريٌّ من هذه النّاحيَة ـ على وُفق ما يُفهَمُ من كلامِ ابنِ الأثيرِ إذْ جَعلَ الأخذَ حَقيقَةً لا بُدَّ منها، وكأنّما لا يُمكنُ للشَّاعرِ أن يَنظِمَ شعراً دونَ الاستعارَةِ مِنَ الأوّل وُصولاً إلى الشِّعرِ الجاهليِّ، لكنَّهُ أرادَ

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

للأخذِ أن يتُمَّ بطريقةٍ تُخفى فيها السَّرقةُ، فتتَّضِحُ يَدُ الشّاعرِ اللّاحق في معانيه.

أمّا حازم القرطاجنّي (ت ٦٨٤هـ) فلَهُ وَقفَةٌ مَع قضيَّةِ السّرقات جاءَ فيها تحتَ عُنوان (معرَّفٌ دالٌّ على طَريقِ العلمِ بأنحاءِ النَّظَرِ في المَعاني من حيث تَكون قَديمةٌ مُتداوَلَةٌ أو جَديدَةٌ مُختَرَعَةٌ)(٥١)، فذهَبَ إلى إنَّ بعضَ المَعاني تكون مُرتَسَمةٌ في كُلِّ فكر، ومنها ما تكونُ مُرتَسَمَةٌ عِندَ البَعضِ فقط(٥٢) وقَد أدخَلَ ذلك في بابِ المُحاكاة(٥٣)، وكَلامُهُ في المَعاني المُرتَسَمةِ عندَ الجَميعِ يوافِقُ فيهِ النُّقاد الذين سَبَقوه، أما الأمر الثاني من حَديثِه عن ارتسامِ بعضَ المعاني عندَ أُناسٍ مُعيَّنين دونَ غَيرِهِم فَهُو أمرٌ لم أجد مَن تنبَّه لَه ـ بحسب ما اطّلعتُ عليه مِن المصادرِ . ولَنا أن نَفهَمَ منَ الأمرينِ مَعاً أنَّ الشِّعرَ الجاهليَّ وَضَعَ أُسُساً ودَلالاتٍ مُعيّنَةً انفتح عليها الشُّعراءُ فيما بعد حتّى أصبَحتْ من الأُمورِ المُرتَسَمَةِ في أذهانِ الشُّعراءِ باختلاف الأزمان. أمّا الأمرُ الآخر فُهُو أيضاً يُمَتِّنُ قضيّةَ تأثيرِ الشِّعرِ الجاهلي، كونَ الشُّعراءِ الجاهليين لم تَكُنْ لَهم القُدرَةُ على التَّوصُّلِ لهذهِ الأشياء، رُبَّما لعَدمِ حاجتِهم إليها ولأنّها مُرتَسَمَةٌ عِندَ أشخاصٍ مُعيَّنين، ولهذا ما كانَ للجاهليِّ فهو جاهليٌّ وما كانَ لغيرِهِ فَهو لصاحِبِه، ولقِلّة هذا النَّوعِ مِن المَعاني أطلَقَ عليهِ حازِمٌ (العُقمَ)(٥٤). وقد ذكرَ حازِمٌ مثالاً للمعاني المُرتسمة عِندَ البَعضِ بقولِ بشر بن أبي خازم (٥٥):

إذا مَا المَكرُماتُ رُفِعنَ يَوماً ... وقَصَّر مُبتغوها عَنْ مداها
وضَاقَت أذرُعُ المُثرينَ عَنها ... سَما أوسٌ إليها فاحتواها

فجاءَ الشّماخُ بهذا المعنى موجزاً، وبعبارَةٍ أجمل(٥٦):

إذا ما رايَةٌ رُفِعتْ لِمجدٍ ... تَلقّاها عَرَابَةُ باليَمينِ

وقد وضع شُروطاً لأخذ هذه المعاني التي ترتسِمُ لشاعرٍ دون آخر، فتخرجُ من بابِ السَّرقَةِ اذا ما كانَ الشّاعرُ الآخذُ قد زادَ حسنةً على المعنى(٥٧)، وهذا ما فَعلَهُ الشّماخُ بمعنى بِشر بن أبي خازم.

وقد سارَ ابنُ خُلدون (ت ٨٠٨هـ) على خُطى النُّقاد القُدامى حينَ قالَ بأهمِّيَّة الاطّلاعِ على شعرِ السَّابقينَ كي تتكوّنَ لدى الشَّاعرِ مَلَكَةٌ شعريَّةٌ مُستندَةً في قوامها على ما رسَخَ في ذهنِ الشَّاعر مِن أشعارِ السَّابقينَ وقد أكّدَ على شِعر الجاهليّين بخاصّةٍ(٥٨)، وقيلَ إنَّ هذه

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

العمليةَ هيَ: ((بدايةُ خَلقِ النُّصُوصِ فِي الذِّهنِ، وأَوَّلُ خُطوَةٍ فِي وُلادَةِ النَّصِّ، وكَشفٌ لأُبُوَّتِه، فَنَصُّ الشَّاعِرُ الذي تَربّى على أَسَاليب هؤلاء تَعودُ بنوَّتُه إلى أشعارِهم))[٥٩]. وقَد أشارَ ـ أيضاً إلى تأثيرِ روايَةِ الشِّعرِ في قضيَّةِ السَّرقات، إذ يَعلقُ كثيراً مِن معانِي الشُّعراء في ذهنِ الشَّاعرِ الرّاوي[٦٠]، وهذه إشارَةٌ إلى عدَمِ مَقدرَةِ انطلاقِ الشَّاعِرِ مِن نقطَةِ الصِّفرِ[٦١]، إذ لا بُدَّ مِن وُجودِ نَّصٍّ يُحتذى، والشِّعرُ الجاهليُّ أَحَقُّ بالاحتذاء.

ويؤكّدُ نجيب البهبيتي اطّلاعَ الشُّعراء سيمَا فِي العَصرِ الأَموِيّ عَلى الشِّعرِ الجَاهليّ اطّلاعاً واعياً، وقَد نشأَتْ لَهُم الثَّقافَةُ الواسِعَةُ عَن التَّحصيلِ الدَّائب إذْ يقولُ: ((دعْ عنكَ الخُرافَةَ السَّائدَةَ مِن أنّ جريراً والفرزدقَ والأخطلَ والراعيَ وذا الرّمة أو الرجّاز ومَن لَفَّ لفّهم كانوا جَماعَةً مِن شُعراء الباديَةِ نَزلوا الحَضَرَ ببضاعَةٍ مُزجاة مِن الشِّعر،، فِي عصرِ الجمعِ، وتلمسِ الشّاهد. فَليسَ بينَ هؤلاء إلّ رَجُلٌ اطّلَعَ عَلى الشِّعرِ القَديمِ اطّلاعاً مقصوداً، ولَيسَ فيهم إلّا صاحِبَ ثقافَةٍ واسِعَةً جدّاً نَشأَتْ لَهُ عَن التَّحصيلِ الدّائبِ فِي بيئَةٍ كانَ هَمُّها فِي ذلك العَصرِ تَحصيل القَديمِ))[٦٢].

الخاتمة:

ونخلَصُ مِن قضيّة السرقات الى إنّ الأثرَ الجاهلي جليُّ الوُضوحِ عند النُّقاد في آرائهم حولَ مَفهُومِ السّرقَة أو تَناوُلِ السَّرقَة عندَ الشُّعراء. فقَد وَجدْنَا النُّقادَ اللّاحقِينَ يَتّبِعُونَ الأسبَقِينَ فِي آرائِهم حتّى كَادَتْ أنْ تَكونَ واحدةً في أغلَبِ الأَحيانِ، ومردُّ ذلك إلى طبيعةِ سيرورة تأثير الجاهلي بنَمط متناسق القوة على الشعراء والنقاد معاً. إذ يحسُّ الشاعر بضرورة اتّباع الجاهليّ في مُجمَلِ القصيدة، وحينَ يُريدُ كَسْرَ النَّسَقِ والإتيانُ بما يحسُبُهُ جديداً فإنَّهُ يَلفتُ نَظرهُ إلى جُزءٍ مُعيَّنٍ من القصيدَةِ، فلا يُوجَدُ نَصٌّ بِكرٌ، وإنّما دائماً ما تكونُ النُّصوصُ أسيرةً لسابِقَتِها.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

هوامش البحث

(١) ينظر مثالاً لا حصراً: ديوان حسان بن ثابت: ٨٦، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: ٥٣.
(٢) ينظر: مشكلة السرقات في النقد الأدبي، د. محمد مصطفى هدارة: ٥.
(٣) ينظر: النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور: ٣٠٧، من أعلام البَصرة الأصمعي ناقداً، إياد عبد المجيد: ٦٨-٦٩.
(٤) حلية المحاضرة : ٤٦/٢.
(٥) فحولة الشعراء: ١٠.
(٦) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي: ٤/١، ٢٤-٢٥، ٤٦-٤٧.
(٧) الحيوان، الجاحظ: ١٩٤/٣.
(٨) زهر الآداب وثمر الألباب، الحُصري القيرواني: ٧٩٥/٣. وهُنا لابُدَّ مِن الإشارَة إلى إنّ الجَاحظ في قولهِ هذا والقولِ السّابقِ استثنى قَول عَنترَةَ في وصفِ الذُّبابِ:

وخـلا الـذباب بهـا يغنّـي وحـده   غـردا كفعـل الشـارب المترنّـم
هزجـاً يحـكُّ ذراعَـهُ بذراعِـهِ   قَـدحُ المكـبِّ علـى الزِّنـادِ الأجـذمِ

(٩) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٢٩٥.
(١٠) ينظر: عيون الأخبار : ١٩٨/٢، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم: ١٢١.
(١١) ينظر: الشعر والشعراء: ٥٨١/٢، ابن قتيبة ونقد الشعر (رسالة ماجستير)، محمد الحارثي: ١٤٨.
(١٢) ديوان أبي نواس:
(١٣) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس:
(١٤) الشعر والشعراء : ٧٤/١.
(١٥) عيار الشعر : ١٣.
(١٦) المصدر نفسه: ١٢.
(١٧) ينظر: النظريات النقدية في عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (أطروحة المرحلة الثالثة)، توفيق حمدي: ١٤٧.
(١٨) ينظر: مشكلات السّرقات في النقد الأدبي، د. محمد مصطفى هدارة: ٨٧.
(١٩) ديوان أبي تمام: ٢١٤/١.
(٢٠) ديوان أوس بن حجر: ٥.
(٢١) السرقات الشعرية بين الآمدي والجرجاني، د. عبد اللطيف الحديدي:٦٩.
(٢٢) الموازنة : ٥٦. وينظر: أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة، محمد علي أبو حمدة: ١٠٢.
(٢٣) ينظر: السَرقات الشعرية بين الآمدي والجرجاني : ٧٥.

(٢٤) ينظر: أبو القاسم الآمدي وكتابه الموازنة: ١٠٢.
(٢٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٢١٤.
(٢٦) ينظر: النقد بين الآمدي والجرجاني (اطروحة دكتوراه)، عبد الله عبد الكريم العبادي: ٣٨٧.
(٢٧) ينظر:التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السَّرقات، د. مصطفى السعدني: ٥٣.
(٢٨) ينظر: الذوق في النقد العربي القديم (رسالة ماجستير)، ليلى عبد الرحمن الحاج قاسم: ٢٤٢.
(٢٩) مشكلات السّرقات في النقد الأدبي :٩٤.
(٣٠) ينظر الموشح : ٣٦٦، ٣٨٨-٣٨٩.
(٣١) يُنظر: كتاب الصناعتين: ١٩٦.
(٣٢) كتاب الصناعتين : ٢٣٠.
(٣٣) ينظر: الشعراء نُقاداً: ١١٦، ١٩٣.
(٣٤) ينظر: أبو هلال العسكري ناقداً، أمل المشايخ: ٤٨ – ٥٥. ولستُ أتّفقُ مَعَ الباحثَة الكريمة من أنّ أبا هلال جاءَ بالشيء الكثير في قضيّة السَّرقاتِ، علماً إنّها أرجعت الآراءَ التي أخذها أبو هلال لأصحابِها، ولم أجدْ الجَديدَ الذي تَحدَّثتْ عَنهُ.
(٣٥) ينظر: مشكلة السرقات في النقد الأدبي :٩٨.
(٣٦) ينظر: المصدر نفسه: ٩٨-١٠٢.
(٣٧) العمدة : ٩٧/١.
(٣٨) قراضة الذهب، ابن رشيق القيرواني: ٨٣ – ٨٤.
(٣٩) قراضة الذهب: ٨٦.
(٤٠) ينظر: أضواء النقد العربي على مذهب البحتري (رسالة ماجستير)، محمد عبد الله الزايدي: ٢٤٧.
(٤١) ينظر: دراسات نقدية وبلاغية / جدل التراث والمعاصرة للدكتور ناصر حلاوي، جمع ودراسة: أ.د ناصر حامد الظالمي: ٢٩٨.
(٤٢) ينظر: المعنى في النقد العربي القديم (اطروحة دكتوراه): ١٩٣-١٩٤. البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطّلب: ٤١. ويَرى الدكتور محمد مَندور نَظرَةَ عبدِ القاهرِ هذه بأنّها تلتقي مع أحدثِ ما وصلَ إليهِ علمُ اللُّغَةِ في أيامنا هذه. ينظر: النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور: ٣٣٤.
(٤٣) ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: ٣٣٩.
(٤٤) أسرار البلاغة: ٣٣٩.
(٤٥) المصدر نفسه.
(٤٦) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر: ٤٦٨ – ٤٦٩.
(٤٧) ينظر: المصدر نفسه: ٤٦٩، والبيت في ديوان الفرزدق: ٢٣٩.
(٤٨) شعر البَعيث المجاشعي، تحقيق د. عدنان محمد أحمد: ٩٢.
(٤٩) ينظر: مشكلة السرقات في النقد الأدبي : ١١١.

(٥٠) المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: ٣٤٢/٢.
(٥١) منهاج البلغاء: ١٩٢.
(٥٢) ينظر: المصدر نفسه، المعنى في النقد العربي القديم (اطروحة دكتوراه)،: ١٩٥.
(٥٣) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح: ١٢٨.
(٥٤) ينظر: منهاج البغاء : ١٩٤.
(٥٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٣، والبيت في ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: ٢٢٢.
(٥٦) ديوان الشمّاخ بن ضرار الذبياني: ٣٣٦.
(٥٧) ينظر: منهاج البلغاء: ١٩٣.
(٥٨) ينظر: مقدّمة ابن خلدون، ابن خلدون: ٣٧٠/١.
(٥٩) ابن خلدون ناقداً (رسالة ماجستير)، بندر رفيد العنزي : ٨١.
(٦٠) ينظر: مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون: ٣٧٠/١.
(٦١) ينظر: ابن خلدون ناقداً (رسالة ماجستير)، بندر رفيد العنزي: ٨١.
(٦٢) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب البهبيتي: ١٨٦.

قائمة المصادر والمراجع

١ـ أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة، محمد علي أبو حَمدة، الأهلية للنشر والتوزيع، مكتبة الجامع الحسيني، عمّان الأردن، ١٣٨٩هـ ـ١٩٦٩م.

٢ـ أبو هلال العسكري ناقداً، أمل المشايخ، سلسلة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة، مطبعة السفير، عمّان الأردن، ٢٠٠٢م.

٣ـ أسرار البلاغة، الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدّة، د.ط، د. ت.

٤ـ البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطّلب، دار نوبار للطباعة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٥ـ تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبيتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.

٦ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع للهجرة، الأستاذ طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.

٧ـ تحليل الخطاب الشعري ـ استراتيجية التناص، د. محمد مفتاح، نشر المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، الدار البيضاء ـ المغرب، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٨ـ التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السَّرقات، د. مصطفى السعدني، مركز الدلتا للطباعة، توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٩١م.

٩ـ حلية المحاضرة في صناعة الشعر، الحاتمي (أبو علي الحسن بن محمد بن المظفّر ت ٣٨٨هـ)، تحقيق الدكتور جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية، سلسلة كتب التراث (٨٢)، ١٩٧٩م.

١٠ـ الحيوان، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

١١ـ دراسات نقدية وبلاغية ـ جدل التراث والمعاصرة للدكتور ناصر حلاوي، جمع ودراسة: أ.م.د حامد ناصر الظالمي، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مؤسسة البصرة للكتاب الثقافي، البصرة ـ العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ه ـ ٢٠١٣م.

١٢ـ دلائل الاعجاز، الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٣ـ ديوان أبي تمام، شرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، د.ت.

١٤ـ ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي، تحقيق إيفالد فاغنر و غريغور شولر، النشرات الاسلامية، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٥ـ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق د. م محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، د.ت.

١٦ـ ديوان الشمّاخ بن ضرار الذبياني، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، د.ط، د.ت.

١٧ـ ديوان الفرزدق، شرح وضبط وتقديم الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٨ـ ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩ه ـ ١٩٧٩م.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

١٩ـ ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: الدكتور عزّة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٧٩ه ـ ١٩٦٠م.

٢٠ـ زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني (أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم الأنصاري ت ٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

٢١ـ السَرقات الشعرية بين الآمدي والجرجاني في ضوء النّقد الأدبي القديم والحديث، د. عبد اللطيف محمد السيد الحديدي، دار السّعادة للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ه ـ١٩٩٥م.

٢٢ـ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وصَحَّحهُ عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، المطبعة الرحمانية، مصر، د.ط، ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م.

٢٣ـ شعر البَعِيث المجاشعي، جمع وتحقيق: الدكتور عدنان محمد أحمد، مطبعة اتحاد الكتّاب العرب، سلسلة الدراسات (٩)، دمشق، ٢٠١٠م.

٢٤ـ الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٣هـ.

٢٥ـ الشعراء نقاداً، د. عبد الجبار المطلبي، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية ـ آفاق عربية، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٢٦ـ طبقات فحول الشعراء، ابن سلّام الجمحي (أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله ت ٢٣١هـ)، قرأهُ وشرحه تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

٢٧ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٨ـ عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي (أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ت ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

٢٩ـ عيون الأخبار، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٣٠ـ فحولة الشعراء، الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع ت ٢١٦هـ)، تحقيق: ش.توري، تقديم: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣١ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، د.ت.



ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

٣٢ـ قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الشّاذلي بُو يحيى، الشركة التّونسية للتوزيع، د.ط، د.ت.

٣٣ـ كتاب الصناعتين ـ الكتابة والشّعر، أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم،، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٤ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ.

٣٥ـ مشكلة السرقات في النقد الأدبي تحليل تحليلية مقارنة، الدكتور محمد مصطفى هدارة، مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م.

٣٦ـ مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ)، إعداد: محمد الشربيني، نورس للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت.

٣٧ـ من أعلام البصرة الأصمعي ناقداً، إياد عبد المجيد إبراهيم، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة (٩٤)، ١٩٨٦م.

٣٨ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة: حازم القرطاجني (أبو الحسن حازم ابن محمد بن حسن ت ٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

٣٩ـ الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري، الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر ت ٣٧٠هـ)، المجلد الأول والثاني تحقيق: السيد أحمد الصقر، المجلد الثالث تحقيق: الدكتور عبد الله المحارب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٩٩م.

٤٠ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشُعراء في عدّة أنواع من صناعة الشعر، المرزباني (أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط،د.ت.

٤١ـ النقد المنهجي عند العرب ـ منهج البحث في الأدب واللغة، مترجم عن الأستاذين لانسون ومابيه، الدكتور محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.

٤٢ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني (أبو الحسن علي بن عبد العزيز ت ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، د.ت.



ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

الرسائل والأطاريح:

٤٣ـ ابن خلدون ناقداً (رسالة ماجستير)، بندر رفيد العنزي، بإشراف الدكتور سعود محمود عبد الجابر، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط،٢٠١١/٢٠١٢م.

٤٤ـ ابن قتيبة ونقد الشعر (رسالة ماجستير)، محمد مريسي الحارثي، بإشراف: الدكتور عبد الحكيم حسان عمر، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز،١٣٩٦هـ ـ١٩٧٦م.

٤٥ـ أضواء النقد العربي على مذهب البحتري وأصوله الفنية (رسالة ماجستير)، محمد عبد الله الزايدي، بإشراف الدكتور محمود حسن زيني، كلية الشّريعة، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٤٦ـ الذوق الأدبي في النقد العربي القديم(رسالة ماجستير)، ليلى عبد الرحمن الحاج قاسم، بإشراف الدكتور لطفي عبد البديع، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٣/١٤٠٤هـ.

٤٧ـ المعنى في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري (اطروحة دكتوراه)، حسين لفتة حافظ الزيادي، بإشراف الدكتور حاكم حبيب الكريطي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٤٨ـ النظريات النقدية في عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (أطروحة المرحلة الثالثة)، توفيق حمدي، بإشراف الأستاذ منجي الشملي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة التونسية، ١٩٨٤/١٩٨٥م.

٤٩ـ النقد بين الآمدي والجرجاني (اطروحة دكتوراه)، عبد الله عبد الكريم العبادي، بإشراف الدكتور ناصر سعد الرشيد، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠/١٤٠١هـ.